

مدوّنة جدّة سعيدة

آداب وفنون | بيار أبي صعب | الخميس 28 كانون الأول 2017

بين «لهفة» و«شهوة»... بين «جنس» استفزازي يتحدّى اللياقات البورجوازية بجذل وملعنة طفولية، و«حب» و«حنين» يعصران القلب... بين طرفي العمر إذ يلتقيان فوق هذا المسرح العبيث... تخرطش لور غريب وتلوّن، تروي وتروي ثم تروي، في مشاهد ولقطات متجاورة، متشابهة، متداخلة، قصصها التي لا تنتهي. المحاربة القديمة لم تستسلم، بل تخوض هنا معركتها الجديدة حيث لا يجرؤ كثيرون، وحيث لا ينتظرها أحد. بالبحر الصيني دائماً.

وأيضاً بالخيوط الملوّنة، والأقمشة، والخرز ومواد غريبة أخرى تستعملها البنات في اللعب. تخوض معركة جديدة كأنّها الأولى. لور الفنّانة، الكاتبة، الناقدة، الشاهدة على السنوات الخصبية، وزمن صعود الأحلام والتجارب، مع رفيق عمرها الممثل والمسرحي النادر أنطوان كرجاج الذي لا تتوقّف عن رسمه، ورسم نفسها. «الغرام. رغم المرض أحبك انت الواقع في الهذيان». كل الأبطال هو. كل البطلات هي. وهناك الأبناء والبنات والأحفاد. «كل الرجال الذين أرسمهم هم أنطوان. لم أعرف رجلاً غيره»، تقولها كمن يعترف بسرّ، مُطرقة كصبيّة أربكها الخجل. بحنان لا يخلو من المزاح مع الذات والضحك من العالم. لور الرسامة، الحكواتية التي اشتهرت بمنمنماتها. ترسم كمن يروي، ترسم لتروي. ترسم وتروي. تخلق شخصها وديكوراتها المؤسّبة، تخرع عوالمها المستقبلية، الساذجة، السريالية. تخرطش على رسوماتها حكماً، ومونولوجات، وتأمّلات، وتعليقات تلخّص الحالة. مثلاً: «بين الواقع والتوقّع تتأرجح النوايا». تخاطب صورتها المنحنية فوق عرّ من الكائنات الصغيرة: «أنّ الشبح الذي اغتال الواقع. 1939 - ...». إن الكتابة في معرض «نشوة العين»، جزء من اللوحة، أو الرسمة، وعنصر مؤسس لها. «لن أحبك حتى يوم القيامة»، «النور يأتي من القلب»، وهكذا. العبارات، الماغوطية الوقع، التي تزترّ اللوحات، ترصّعها، تشكل امتداداً لخطوطها... تتناكب رغبة في أن تنقلها كلها هنا، بحثاً عن قصيدة خفيّة.

تستعيد الفنّانة المشاعر الأولى، الحكاية الأصلية التي تولد منها كل الحكايات. لور الأنثى حتى أدق تفاصيل منمنماتها. الزوجة، الحبيبة، الأم، الجدّة. كل أطوار الحياة ومراحلها تجسدها بطلاة المعرض: الطفلة التي لم تكبر. «تتنابني رغبة في أن أحلم! كان يا ما كان طفلة لا تتوقف عن الحلم». هذا المعرض تختصره ربّما تلك اللوحة الصغيرة التي نثرت عليها طلاسماً وقلباً أحمر ورموزاً بحريّة كالباطر وغيره، وكتابة بالأخضر وبالفرنسيّة: «أحلام طفلة صغيرة في الخامسة والثمانين». لور غريب جدّة سعيدة، تتمترس خلف لامبالاة الطفولة وسذاجتها وعبثها وعفويّتها. تستعين على العمر والألم والخوف، بالصور والوجوه والحكايات المستعادة إلى ما لا نهاية. بالمشاهد العائلية المكررة. في إحدى الرسوم، تقدّم الجدّة أحفادها لأمّها في لعبة مستويات تكثّف الزمن. هكذا بلغت في مرحلتها الجديدة أعلى مراتب الطفولة. «وحدهم الأطفال يعيشون طويلاً»، كتب الشاعر والفيلسوف الإيطالي جياكومو ليوباردي أوائل القرن التاسع عشر، هرباً من التقاليد الأرستقراطية المحافظة. لور طفلة تعيش طويلاً لترسم حياتها. وتغلب الوقت. لقد عزّتها من المنمقات البصريّة، وجاهرت بها على الملأ. كلا، ليست «عودة إلى الطفولة»، كما سيقول بعضهم، بل ذهاب إليها! ولور أنثى «آتية من رحم العذاب». أنوثتها تمرّد خافت، ومواجهة هادئة للعالم. إنّها فوضويّة، مثل ريمون جبارة وأنسي الحاج ومارون بغدادي... المرأة الوحيدة بين شلّة من الرجال. مثلهم هي «فوضويّة محافظة»، تبقى في قلب منظومة القيم السائدة. لا تخرج عليها، أو تقطع معها. لذا تراها تدوّن يوميات جدّة مطمئنة، قصصها خلاصة حياة استثنائية، ومصير استثنائي. حكايات جيل شهد على صعود العصر الذهبي ثم أفوله. حكايات تراشقتها، في معارض سابقة، مع ابنها مازن كرجاج، في ظلّ الأب دائماً. تحاورا بشأن أمور ومسائل ومراجع كثيرة، على مساحة اللوحة الواحدة. هو يشعر بحاجة إلى معرفة القصص، وسرّ الأغوار، وفهم التفاصيل، وهي تعبث وتروي وتخرطش وتنمنم. هكذا تشبطنا معاً، وعبثاً بأسرار الزمن السعيد. هذه المرّة، لور وحدها، تتحاور مع أطراف العائلة. في المعرض الحالي، تأخذك اللوحات الكبيرة بالأبيض والأسود (تصل إلى المتر ونصف المتر، حبر صيني وتقنيات مختلفة على كرتون)، تلك التي يشكّل سطحها بحراً هائجاً، بمستوياتها السردية وكائناتها وديكوراتها وحشودها وخواطرها الفلسفية. ثم يضيع الزائر في تفاصيل الجدار المقابل، حيث أعمال بمقاسات صغيرة (18*13 سنتم)، وجوه ملوّنة بمواد متفرّقة توحى من بعيد

بكولوجات غريبة (تقنيات مختلفة على قماش). النساء كلهن لور، محاطة بالأبناء والأحفاد. وفي وسط القاعة تتدلى من السقف سلسلة من الأعمال الصغيرة: سبّحات من رسوم الجيب (5*5 سنتم)، في علب خشبية مترابطة تدور حول نفسها بلا كلل، كلما حاولت الإمساك بها. بوتيرة واحدة، متكررة في كل ضربة قلم، تبدو الرسومات الصغيرة أشبه بتمارين على السعادة. فيض جارف من الاستنشات التي تتقاطع مع شعر الهايكو، في اختزالها ودائريتها، وإلتقاطها تفاصيل الحياة العادية البسيطة، بكثافة تحمل أبعاداً فكرية عميقة.

تخرج من معرض لور غريب في «غاليري جانين ريبز» على كورنيش بيروت، وانت تشعر بأنك تستطيع أن تطير. منمنمات الطفولة العابثة تمحو ندوب الحياة... وخفة الجدّة السعيدة تحتال على أحكام الجاذبية. من أين للطفلة الثمانية كل هذه اللمعة؟ المعرض مستمر لأسبوعين... لا تفوتوه!

من ملف : لور غريب... أحلام طفلة شقية عمرها 86 عاماً